العدد واحد وأربعون
تاريخ الإصدار: 2 – آذار – 2022 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

"قراءة موجزة في كتاب أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني"

إعداد الباحثة:
منال صالح الصاعدي

قسم البلاغة والنقد/ كلية اللغة العربية/ جامعة أم القرى

1443هـ-2022م

العدد واحد وأربعون
تاريخ الإصدار: 2 – آذار – 2022 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

الملخص:

يهدف البحث إلى تعريف القارئ بكتاب أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني لما له من مكانة في تأصيل علم البلاغة ووضع أسس أبوابه ومباحثه. وقد جاء البحث في مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة. اختص التمهيد بعرض موجز لنشأة الإمام ومكانته العلمية، وأبرز مصنفاته. أما المبحث الأول: فيختص بمحتوى الكتاب وأبرز الفصول التي انتظمت الموضوعات تحتها، والداعي من تأليفه. والمبحث الثاني: منهج التأليف. أبين فيه طريقته في ترتيب فصول الكتاب، وعرض المادة العملية، ومنهجه في التعامل مع الشواهد وطريقته في تحليلها. أما المبحث الرابع فمختص بالتقويم يعرض أبرز مزايا الكتاب وأشهر المآخذ التي أُخذت عليه. ويختم البحث بالخاتمة التي تتضمن أبرز النتائج.

الكلمات الدالة: الجرجاني– اسرار البلاغة– المنهج الاستقصائي– المنهج النفسي

- **مقدمة:**

الحمد لله الكريم المنان، والشكر له على عظيم الإحسان، حمدًا وشكرًا تامان أكملان، ثم الصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين محمد الأمين وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد ،،

فإن من أجل العلوم العربية وأعلاها منزلة علم البلاغة، فبه ينكشف وجه من وجوه إعجاز القرآن، ولأهميته أفنى العلماء أقلامهم، وقدحوا زناد عقولهم، فكتبوا فيه المصنفات. وقد قيض الله لهذا العلم العلامة الإمام عبد القاهر الجرجاني الذي درس علوم السابقين ووعاها، وأدرك حاجة علم البلاغة لمزيد من النظر، فصنَّف كتابه "أسرار البلاغة" لعله يكون محاولة لإثراء هذا العلم، وضبط حدوده.

خطة البحث:

التمهيد: ويتضمن التعريف بالمؤلف ومصنفاته، ومكانته العلمية.

المبحث الأول: المحتوى العلمي– دواعي التأليف.

المبحث الثاني: منهج التأليف.

المبحث الثالث: القيمة المرجعية للكتاب.

المبحث الرابع: تقويم الكتاب.

الخاتمة.

العدد واحد وأربعون
تاريخ الإصدار: 2 – آذار – 2022 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

التمهيد:

أ. التعريف بالمؤلف:

هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، الجرجاني النحوي. وُلِد بجرجان وأخذ النحو عن الشيخ أبي الحسين محمد بن الحسن بن محمد بن عبد الوارث الفارسي، ابن أخت أبي علي الفارسي، وكان يحكي عنه كثيرًا، لأنه لم يلق شيخًا مشهورًا في العربية غيره، لأنه لم يخرج عن جرجان في طلب العلم" (الأنباري، 1985م). "كان شافعي المذهب، متكلمًا على طريقة الأشعري، وفيه دين. وله فضيلة تامة في النحو." (الدمشقي، 1978م)

قرأ ونظر في تصانيف النحاة والأدباء حتى صار من كبار أئمة العربية والبيان، وله مصنفات في النحو "ولما طافَتْ شهرته الآفاق شُدَّت إليه الرِّحالُ وحُثَّت المَطِيُّ، وظلَّ متصدِّرًا جرجان يُفيد الراحِلين إليه والوافدين عليها إلى أنْ تُوُفِّي بجرجان ودُفِن بها سنة 471 هـ". (القفطي، 1986م)

ب. مصنفاته:

له مصنفات عديدة في النحو منها:

"كتاب المغني في شرح الإيضاح لأبي علي الفارسي، وهو نحو من ثلاثين مجلدا، كتاب المقتصد في شرح الايضاح في ثلاثة مجلدات، كتاب إعجاز القرآن" (الأنباري، 1985م). ، يدل على معرفته بأصول البلاغات ومجاز الإيجاز. (القفطي، 1986م)

"كتاب الجمل، وشرحه في كتاب سماه التلخيص، وكتاب العمد في التصريف، وكتاب المفتاح، وكتاب شرح الفاتحة" (الدمشقي، 1978م) ومن مؤلفاته أيضًا الرسالة الشافعية، أسرار البلاغة، دلائل الإعجاز.

ومن المثير للعجب أن المصنفات التي تحدثت عن حياة الإمام ومؤلفاته لم تأت على ذكر جهوده البلاغية ولا مؤلفاته فيها؛ وربما لأن غالب مصنفيها من النحاة فيوردون في مؤلفاتهم ما له صلة بالنحو.

تلاميذه: من أنبه تلاميذه وأشهرهم علي بن زيد الفصيحي.

ج. مكانته العلمية:

قال عنه معاصره الباخرزي: " اتفقت على إمامته الألسنة وتجملت بمكانه وزمانه الأمكنة والأزمنة . وأثنى عليه طيب العناصر، وثنيت به عقود الخناصر. فهي فرد في علمه الغزير، لا بل هو العلم الفرد في الأئمة المشاهير. وقد أفادني الشيخ أبو عامر مما ألقاه بحر الفضل على لسانه ما نطق لسان الدهر باستحسانه.
ولست فيما فاتني من كريم مشاهدته، واشتيار لذيذ الشهد من مذاكراته أيام أسعدتني الأيام منه بدنو الدار، ولف أطناب الخيمتين قرب الجوار إلا كمن ودع الماء والخضرة وتدرع الشعثة والغبرة." (مطلوب، 1973م)

العدد واحد وأربعون
تاريخ الإصدار: 2 – آذار – 2022 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

وقال عنه أحمد بن مصطفى صاحب كتاب مفتاح السعادة:" ولو لم يكن له سوى كتاب أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز لكفاه شرفًا وفخرًا." (مطلوب، 1973م)

المبحث الأول:

- **أولًا: المحتوى العلمي:**

الكتاب قائم على مقدمة وخمسة فصول: المقدمة: تعد مقدمة المصنف تبيانًا لفكر الشيخ ومنهاجه. عرض فيها إلى فضل الإنسان عن الحيوان بالبيان، فبه تحصل الإبانة عمًا في النفس، وبيان المعاني هو غايته ومطلبه. فليس للفظ – كما زعم المدعون – قيمة في ذاته، بل قيمته بالمعاني التي يعبر عنها ويكون صورة لها. قوّض فيها أركان دعوى من قال بأفضلية اللفظ على المعنى، فليست الألفاظ إلا أوعية للمعاني تبع لها. وليست فنون البديع من سجع وجناس حسنها راجع للفظها وجرسها بل لما يتركه التوقيع الصوتي لها من أثر في النفس ودور هذا الجرس في بيان المعنى. تأمل الحسن الذي زخرت به أبيات "فلما قضينا من منى كل حاجة" والتي أرجع السابقون حسنها مقصورا على لفظها وليس تحتها كبير معنى. وختم المقدمة ببيان غايته من تأليف كتابه، فهو يذكر أولًا ما تعرفه من قضايا ليبني عليه ما لا تعرفه ترسيخًا للعلم .

الفصل الأول: التشبيه والتمثيل وبيان الفرق بينهما

عقد الفصل الأول في بيان التشبيه وأقسامه فالفرق بين التشبيه والتمثيل، ففصل في وجه الشبه وانتزاعه من الطرفين، فأمثلة في تأثر التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني... سار على هذا النمط يضع فصولًا صغيرة معنونة بعناوين فرعية مرتبطة بالعنوان الرئيس ومتدرجة حسب الحاجة لها.

ذكر في أول الفصل أن الشيئين إذا شبه أحدهما بالأخر كان ذلك على ضربين:

أ. أن يكون من جهة أمر بيّن لا يحتاج إلى تأول.

ب. أن يكون الشبه محصلا بشيء من التأول .

وهذا التقسيم هو مدار النظر في هذا الباب معتمدًا على التقاط المتلقي لوجه الشبه فإن كانت المشابهة من جهة اللون والهيئة والشكل أو ما شابه ولم يحتج إدراكها إلى تأمل فذاك التشبيه، وإن احتاج إدراك وجه الشبه إلى ضرب من التأول وقدح زناد الفكر فذاك التمثيل.

ومن هذين الضربين تنبثق الفصول المندرجة تحته فالإجمال في التقسيم قاده إلى بيان الأمر وتوضيحه بالشواهد والأمثلة. والتفصيل قاده إلى بيان الفرق بين التشبيه والتمثيل ثم بيان معنى التأول وأحوال وجه الشبه من انتزاعه من أمر أو عدة أمور . ثم بيان سبب تأثير التمثيل ومواقعه في الكلام ، ثم تحدث عن غرابة التشبيه والتمثيل والتشبيه المركب، ثم التشبيه المتعدد ، والفرق بينه وبين المركب ، ثم فصل في عكس التشبيه ثم ختم الحديث بإجمال الفرق بين التشبيه والتمثيل.

العدد واحد وأربعون
تاريخ الإصدار: 2 – آذار – 2022 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

الفصل الثاني: في الفرق بين الاستعارة والتشبيه والتمثيل

بدأ الحديث عنها حين فرغ من السجع والتجنيس وقسمها إلى قسمين رئيسين بعد أن عرَّف مفهومها هما: ما يكون لنقله فائدة، وما لا يكون لنقله فائدة. واستوفى القول فيها بعد أن عرَّف قسميها، ثم فصل القول في الاستعارة المفيدة، وبين ما لهذا الاسلوب من أثر في النفس. كما قرر اعتماد الاستعارة على التشبيه أبدا، وقسَّمها إلى مراتب حسب قرب التشابه من الحقيقة وبعدها عنه. وتضمنت هذه الدراسة فقرة من الفقرات التي تؤسس منهج النظر في القضايا البلاغية يقول الإمام "إن قال قائل: إن تنزيل الوجود منزلة العدم أو العدم منزلة الوجود ليس من حديث التشبيه في شيء...". (الجرجاني، 1991م)

ثم عاود الحديث عنها بعد أن استوفى القول في التشبيه والتمثيل ففرق بينها وبين التشبيه وبينها وبين التمثيل. وتناول بين ثنايا موضوعات هذا الفصل أنَّ كل تشبيه لا يصلح للاستعارة وكل استعارة يمكن ردها إلى التشبيه. وبين المقصود من المبالغة، وتحليل شواهد شعرية أثرى بها موضوعه وختم الفصل ببيان العلة في الإطالة في بحث التشبيه التمثيل والاستعارة؛ فالقول فيها متسع لن يفيد فيه إلا التفصيل والتوضيح. والتركيز على دراسة هذه الفنون؛ لأنها من أظهر الأساليب التي يجتمع فيها العقل والخيال وتكون نسبة الخيال فيها عَلِيّة.

الفصل الثالث: في المعاني العقلية والتخييلية.

بعد أن استوفى الإمام القول في التشبيه والتمثيل والاستعارة والتي عدَّها مقدمات لغرضه دلف إلى الحديث عن المعاني العقلية والتخييلية يُفَصَّل القول فيها، " وهذا معناه أن الشيخ لما فرغ من المقدمات، وانتهى إلى الحديث في الغرض الذي هو دراسة المعاني أدخل هذا الغرض تحت معطف آخر هو السرقات وجعله بمنزلة المقدمة لها، وبهذا يجعل باب السرقات كأنه الغاية النهائية للدرس البلاغي، وهذا تفكير مستقيم لأن دراسة باب السرقات خلاصة الفهم، للشعر والنثر، والكلام كله، استيعاب المعاني التي جعل دراسته مقدمة لها ." (أبو موسى، 1998م)

ففي هذا الفصل فصَّل القول في معنى التخيلي والعقلي معتمدا على قربه من الحقيقة وبعده عنها. وبين أنواع كل منها واستحضر شواهد شعرية ونثرية وأحاديث نبوية يفصل القول تارة ويجمل أخرى. ونلحظ في هذا الباب كثرة استشهاده بالمقطوعات الشعرية وقلة تحليله لها.

وذكر فصولًا لها ارتباط بالتشبيه والاستعارة كتناسي التشبيه؛ لأنه مرتبط بفصل التخييل بغير تعليل الذي عقده. وذكر ما تجوز استعارته وما لا تجوز، وما يجوز فيه إسقاط ذكر المشبه.

الفصل الرابع : في الأخذ والسرقة والاستمداد والاستعانة:

ثم انتهى للحديث عن الأخذ والسرقة قرر فيه أن المعاني الدارجة بين الناس لا يعد أخذها سرقة إنما تكون السرقة فيما ظهرت فيه صنعة الشاعر. واستعرض في ذلك عدد من الشواهد الشعرية. وتعد مادة هذا الفصل من أقل فصول الكتاب كمًّا وكأنه وضع أساسا لباب السرقات وترك المجال لعلماء آخرين لاستيفاء القول فيه.

العدد واحد وأربعون
تاريخ الإصدار: 2 – آذار – 2022 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

الفصل الخامس: في الحقيقة والمجاز:

بدأ الحديث عن بيان الحقيقة من المجاز وعرف المجاز بأنه "كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها، لملاحظة بين الثاني والأول". (الجرجاني، 1991م) وبين مراده من الملاحظة ويقصد بها العلاقة بين المعنى الحقيقي والمجازي ولم يسمها بهذا الاسم الذي عُرِف عند البلاغيين بعده.

كما فرَّق بين المجاز اللغوي والعقلي ووضح تعريفهما وبيّن ما لا يجوز أن يكون من باب التأويل والمجاز.

ثانيًا: دواعي تأليف الكتاب:

صرح الجرجاني بغرضه من التأليف فقال: واعلم أن غرضي في هذا الكلام الذي ابتدأته، والأساس الذي وضعته ، أن أتوصّل إلى بيان أمر المعاني كيف تختلف وتتفق، ومن أين تجتمع وتفترق، وأفصل أجناسها وأنْواعها، وأتتبّع خاصّها ومُشَاعَها، وأبين أحوالها في كرم مَنْصبها من العقل ، وتمكُّنَها في نِصَابه ، وقُرْب رَحِمِها منه ، أو بُعدها حين تُنسب عنه ..." **(الجرجاني، 1991م) والمتأمل لهذا الغرض يجده يدور في فلك المعاني من عدة جهات:**

- جهة كيفية الاختلاف والاتفاق.
- جهة مصدر الاجتماع والافتراق.
- جهة بيان أنواعها وأجناسها ، وبيان خاصها ومشاعها.
- وجهة بيان مصدر المعاني أهو العقل أم الخيال.

وعلى هذا يتبين أن عبد القاهر الجرجاني أقام كتابه على نقض فساد القول القائل بأن فضيلة الكلام ترجع إلى اللفظ وحده دون معناه "كيف ؟ والألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضربًا خاصًا من التأليف، ويُعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب." (الجرجاني، 1991م)

والمتأمل لهذا الغرض يلحظ وعي الشيخ –رحمه الله – بما يكتب، وحضوره في ذهنه وإدراكه لمسائله، فليس للفظ قيمة وحدة بل تبرز قيمته بالمعاني التي خرجت من فكر مؤلفها وأعمل عقله فيها. وإدراك ذلك يعيننا على الغاية الكلية وهي" الحكم في تفاضل الأقوال إذا أراد أن يقسم بينها حظوظها من الاستحسان ، ويعدّل القسمة بصائب القسطاس والميزان." (الجرجاني، 1991م)

وإن تأملنا ما قاله الشيخ –رحمه الله – عن التشبيه والتمثيل والاستعارة: "وهذا غرض لا ينال على وجهه، وطلبة لا تدرك كما ينبغي، إلا بعد مقدمات تقدم، وأصول تمهد، وأشياء هي كالأدوات فيه حقها أن تجمع، وضروب من القول هي كالمسافات دونه، يجب أن يسار فيها بالفكر وتقطع.

وأول ذلك وأولاه وأحقه بأن يستوفيه النظر ويتقصَّاه القول على التشبيه والتمثيل والاستعارة". (الجرجاني، 1991م) بأنه جعل هذه الفصول مقدمات تُمهد لغرضه مما يُقوِّض قول من عد كتاب الأسرار كتابا في علم البيان فمدار النظر فيه هذه الفنون وليس فيه حديث عن الكناية والاستعارة التمثيلية وهي من أهم علوم البيان. (أبو موسى، 1998م)

العدد واحد وأربعون
تاريخ الإصدار: 2 – آذار – 2022 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

المبحث الثاني: منهج التأليف:

بنى الشيخ –رحمه الله – كتابه على مقدمة وخمسة فصول رئيسة أدرج تحتها كل ما يتصل بالفصل الرئيس من قضايا منبثقة منه ، ولا ينتقل إلى غيرها إلا بعد أن يستوفي القول فيها . وهذا التقسيم يتلاءم مع غرض الكتاب من جهة، ويعين الدارس على تمييز الفنون البلاغية ومعرفة شواهدها والمسائل المرتبطة بها بعد أن كان الخلط سمة ظاهرة لبعض المؤلفات قبله.

منهجه في ترتيب فصول الكتاب:

رتب فصول كتابه بما يخدم غرضه من تأليفه مخالفا الترتيب الواجب في قضايا المراتب من البدء بالعام قبل الخاص . فالأصل البدء بالحقيقة والمجاز ، ثم الفنون الثلاثة التشبيه والتمثيل والاستعارة؛ لأن التشبيه أصل و التمثيل جزء منه والاستعارة مبنية عليه، والبدء بالمجاز قبل الاستعارة؛ لأنه أعم منها، لكنه عدل عن ذلك فبدأ الحديث بنقض القول القائل بأن الفضيلة في الكلام تعود إلى لفظه " وقد ذكر بعد شرح هذه المسألة ضروبًا من الكلام يتوهم في بدأ الفكرة أن الحسن والقبح فيها لا يتعدى اللفظ والجرس إلى ما يناجي فيه العقل النفس، ثم ذكر الجناس، والحشو، وقاده الحديث إلى السجع، ثم التطبيق، والاستعارة، وكان هذا هو خط سير الكتاب؛ لأن الاستعارة فتحت الباب للتشبيه والتمثيل والفرق بينهما". (أبو موسى، 1998م)

وهكذا يُرتب عبد القاهر أبوابه ترتيبًا خاضعًا لما سماه " "الواجب في قضايا المراتب" أعني الواجب في تصنيف مسائل العلم وبناء ثانيها على أولها، وجعل ثالثها مهادا لرابعها. وهو كما ترى تيقظ شديد لهذا الجانب من جوانب المعرفة، لأنه جزء منها ، فلا بد أن يقوم الكتاب على ضوابط فكرية ومنهجية ، وإلا اختل أمره واضطربت مسائله . ومن الغريب أنك تقرأ في كلام القدماء والمحدثين أن الشيخ رحمه الله أهمل ترتيب كتابه ... فخالف ما قرره من البداية بالمجاز وذكر طرفا من الاستعارة لم يلتفت إليه من سبقوه، وأبرزه، وهو الاستعارة غير المفيدة، التي لم تبن على التشبيه ... ثم قسم الاستعارة المفيدة قسمة عامية، فميز المكنية والتصريحية، والأصلية التبعية، وحدد فقه كل قسم من هذه الأقسام ولم يسمه بهذه التسميات، وإنما ذكر أقساما، وأنواعًا يتميز بعضها عن بعض." (أبو موسى، 1998م) ثم توقف عن الحديث عنها ليبدأ بالحديث عن التشبيه ويستكمل القول في الاستعارة في مكانها.

منهجه في عرض مادة الكتاب:

اتبع المؤلف–رحمه الله– في عرض فصول كتابه على عدد من المناهج الرئيسة في التأليف البلاغي:

أولا: المنهج التأصيلي:

يُعد عبد القاهر الجرجاني من جهابذة العلماء الذين أصَّلوا لعلم البلاغة ورسموا حدوده وأقاموا قواعده العامة. ويظهر ذلك في اهتمامه بتمييز الفنون البلاغية بعضها عن بعض وردها إلى أصول ثلاثة التشبيه والتمثيل والاستعارة. فكان يضع تعريفات جامعة مانعة وتقسيمات موضحة ليضبط حدود العلم لا أن يقيده بالحدود والرسوم، فيقضي على الحس البلاغي والذوق الأدبي، فالبلاغة صنو الجمال، والانشغال بالتقسيمات والتصنيفات تُحَولها إلى قواعد جامدة خالية من الحس، بعيدة عن الذوق. وغايته من وضع القواعد "أن يقيم دراسته على أسس علمية، لكنه يفرق بين العلم والفن في أن للأول قواعد مضبوطة يجب الأخذ بها ، وليس للثاني قواعد جامدة ينبغي التمسك بها بل هي

العدد واحد وأربعون
تاريخ الإصدار: 2 – آذار – 2022 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

إشارات تهدي وترشد. ومن هنا يكون الفن قابلًا للتطور والتجديد ويكون الأديب أكثر حرية من غيره في التصوير". (مطلوب، 1973م) وقد يلجأ أحيانًا إلى اشتراط شرط ليُقيد المسألة ولا يتركها على إطلاقها.

ثانيا: المنهج الاستنباطي والجدلي:

اتبع الجرجاني الاسئلة كوسيلة لاستنباط القواعد والأحكام ظهر ذلك في مواضع عدة من كتابة فهو يثير أسئلة ويفترض جدلًا يَرُدُّ عليه. تأمل تعليقه على بيت الفرزدق "فانظر أيتصور أن يكون ذمك للفظة من حيث إنك أنكرت شيئا من حروفه ، أو صادفت وحشيا غريبا ، أو سوقيا ضعيفا ؟ أم ليس إلا لأنه لم يرتب الألفاظ في الذكر على موجب ترتب المعاني في الفكر ، فكد وكدر ، ومنع السامع أن يفهم الغرض إلا بأن يقدم ويؤخر " (الجرجاني، 1991م)

فهو يدعو المتلقي إلى التأمل في البيت وإعادة النظر فيه ببصر نافذ ليهتدي إلى ما اهتدى إليه الشيخ من أن ما في البيت من تعسف في التركيب منع المتلقي من إدراك مراد الشاعر فوُصِف البيت بالتعقيد. وبهذه الطريقة يقود القارئ لموافقته ورؤية ما رآه .

وتأمل قوله في موضع آخر " فإن قلت: فإذن لا فرق بين استعارة طار للفرس وبين استعارة الشفة للفرس، فهلا عددت هذا في القسم اللفظي غير المفيد؟ ثم إنك إن اعتذرت بأن في طار خصوص وصف ليس في عدا وجرى، فكذلك في الشفة خصوص وصف ليس في الجحفلة.

فالجواب : إني لم أعده في ذلك القسم، لأجل أن خصوص الوصف الكائن في طار مراعى في استعارته للفرس، ألا تراك لا تقوله في كل حال، بل في حال مخصوصة وكذا السباحة، لأنك لا تستعيرها للفرس في كل أحوال حربه، نعم، وتأبى أن تعطيها كل فرس، فالقطوف البليد لا يوصف بأنه سابح " (الجرجاني، 1991م) فهو يرد على شبهة قد تقع في نفس المتلقي . واستعماله لهذا الاسلوب يدل على سعة علمه ودقة فكره أولا، وليكون وسيلته لإقناع القارئ ثانيا، وطريقة لدفعه إلى النظر السليم في النصوص ثالثًا.

ثالثا: المنهج التحليلي الفني:

"وضع عبد القاهر الجرجاني أسس المنهج التحليلي في دراسة البيان أو المعاني العقلية ومسايرة العبارات لها ودلالتها عليها"[1].(طبانة، 1958م) "وهذا المنهج يربط القاعدة بالذوق ويزاوج بين النظرية والتطبيق وهو أنضج مناهج التأليف البلاغي وأكثرها اكتمالًا". (زايد، 2004م)

والمتتبع لكتابه –رحمه الله– يلحظ أنه يقدم لموضوعه ثم يتبع كلامه بنص يتحدث عمَّ أشار إليه في مقدمته. ويقودك بأسلوبه الرشيق، وذوقه العالي إلى تتبع الكلام فيضع يدك على مواضع الإجادة فيه أو النقص، وقد يطول الحديث والنقاش وقد يقصر حسب حاجة المقام لذلك. وخير ما يمثل هذا المنهج ما ذكره رحمه الله في فصل الشبه العقلي المنتزع من جملة أمور يقول:" ثم إن هذا الشبه العقلي ربما انتُزع من شيء واحد، كما مضى من انتزاع الشَّبه للفظ من حلاوة العسل وربما انتزع من عِدَّة أمورٍ يُجْمَع بعضها إلى بعض، ثم يُستخرَج من مجموعها الشَبَهُ، فيكون سبيلهُ سبيلَ الشيئين يُمزَج أحدهما بالآخر، حتى تحدُث صورة غير ما كان لهما في حال الإفراد، لا سبيل الشيئين يَجمَع بينهما وتُحفَظ صورتهما، ومثالُ ذلك قوله عزّ وجلّ: " **مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُواْ التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارَاً**

[1] البيان العربي، دراسة فنية تاريخية في أصول البلاغة العربية، 133

العدد واحد وأربعون
تاريخ الإصدار: 2 – آذار – 2022 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

"[الجمعة: 5] **الشبهُ منتزع من أحوال الحمار**، وهو أنه يحمل الأسفار التي هي أوعية العلوم ومستودَعُ ثَمَر العقول، ثم لا يُحسّ بما فيها ولا يشعر بمضمونها، ولا يفرّق بينها وبين سائر الأحمال التي ليست من العلم في شيء، ولا من الدَّلالة عليه بسبيل، فليس له مما يحمل حظٌّ سوى أنه يثقُلُ عليه، ويكُدُّ جنبيه فهو كما ترَى مُقْتضَى أمورٍ مجموعةٍ، ونتيجةٌ لأشياءَ أُلّفت وقُرن بعضها إلى بعض، بيانُ ذلك: أنه احتيج إلى أن يراعَى من الحمار فعلٌ مخصوص، وهو الحمل، وأن يكون المحمول شيئاً مخصوصاً، وهو الأسفار التي فيها أماراتٌ تدلّ على العلوم، وأن يُثلَّثَ ذلك بجهل الحمار ما فيها، حتى يحصل الشبه المقصود، ثم إنه لا يحصلُ من كل واحدٍ من هذه الأمور على الانفراد، ولا يُتصوّر أن يقال إنه تشبيه بعد تشبيه، من غير أن يقف الأول على الثّاني، ويدخل الثاني في الأول، لأن الشَّبه لا يتعلق بالحمل حتى يكون من الحمار، ثم لا يتعلق أيضاً بحَمْلِ الحمار حتى يكون المحمول الأسفار، ثم لا يتعلق بهذا كله حتى يقترن به جَهْل الحمار بالأسفار المحمولة على ظهره فما لم تجعله كالخيط الممدود، ولم يُمزَج حتى يكون القياسُ قياسَ أشياءَ يُبالغ في مِزاجها حتى تَتَحد وتخرُجَ عن أن تُعرَف صُورةُ كلِّ واحد منها على الانفراد، بل تبطُل صُوَرها المفردةُ التي كانت قبل المِزاج، وتحدُث صورةٌ خاصة غير اللواتي عهِدتَ، وتحصُلُ مَذَاقَةٌ لو فرضتَ حصولها لك في تلك الأشياء من غير امتزاج، فرضتَ ما لا يكون لم يتمَّ المقصود، ولم تحصل النتيجة المطلوبةُ، وهي الذمُّ بالشقاء في شيء يتعلق به غرضٌ جليلٌ وفائدةٌ شريفةٌ، مع حِرمان ذلك الغرض وعدمِ الوصول إلى تلك الفائدة، واستصحاب ما يتضمن المنافع العظيمة والنعم الخطيرة، من غير أن يكون ذلك الاستصحاب سبباً إلى نَيْلِ شيء من تلك المنافع والنِّعم " (الجرجاني، 1991م) فقد قاد ذهنك لإدراك كيف أن انتزاع وجه الشبه من التشبيه يختلف عن التمثيل الذي هو تشبيه صورة بصورة في أسلوب أدبي وتحليل منطقي سليم.

رابعا: المنهج النفسي:

اهتم عبد القاهر الجرجاني بالأثر النفسي الذي تتركه العبارات في النفس فالسجع والتجنيس ليست جرسًا فقط بل إن جاءت عفو الخاطر فعلت في النفس فعل السحر، فالنفوس تميل للإيقاع وتطرب له، ويزيده جمالًا وأثرًا؛ إن سلم من مزالق التكلف وحمل بين جنبيه معان شريفة.

وتطرق للأثر النفسي حين تحدث عن الاستعارة المفيدة فهي" أمَدُّ ميداناً، وأشدُّ افتناناً، وأكثر جرياناً، وأعجب حسناً وإحساناً ، وأوسعُ سعَةً وأبعد غَوْراً ، وأذهبُ نَجْداً في الصِّناعة وغَوْراً، من أن تُجمعَ شُعَبها وشُعُوبها، وتُحصَر فنونها وضروبها، نعم ، وأسحَرُ سِحْراً، وأملأ بكل ما يملأ صَدْراً، ويُمتع عقلاً، ويُؤْنِس نفساً ، ويوفر أُنْساً، وأهدَى إلى أن تُهدِي إليك أبداً عَذَارَى قد تُخُيِّرَ لها الجمال، وعُنِيَ بها الكمال وأن تُخرج لك من بَحْرها جواهرَ إن باهَتْها الجواهرُ مَدَّت في الشرف والفضيلة باعاً لا يقصرُ، وأبدت من الأوصاف الجليلة محاسنَ لا تُنكَر..." (الجرجاني، 1991م)

وقد ذكر في فصل التمثيل الأثر النفسي له في مواضع متفرقة يقول: "واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه ، أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني ، أو برزت هي باختصار في معرضه ، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته ، كساها أبهة ، وكسبها منقبة ، ورفع من أقدارها ، وشب من نارها ، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها ، ودعا القلوب إليها ، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفا ، وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا ، فإن كان مدحا ، كان أبهى وأفخم ، وأنبل في النفوس وأعظم ، وأهز للعطف ، وأسرع للإلف ، وأجلب للفرح... " (الجرجاني، 1991م) ويقول في فصل التمثيل المحوج إلى طلب معناه بالفكرة "المعنى إذا أتاك ممثلا، في الأكثر ينجلي لك بعد أن يحوجك إلى غير طلبه بالفكرة وتحريك الخاطر له والهمة في طلبه، وما كان منه ألطف، كانت امتناعه عليك أكثر، وإباؤه أظهر، واحتجابه أشد، ومن المركوز في الطبع أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له أو الاشتياق إليه، ومعاناة

العدد واحد وأربعون
تاريخ الإصدار: 2 – آذار – 2022 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

الحنين نحوه، كان نيله أحلى، وبالمزية أولى، فكان موقعه من النفس أجل وألطف، وكانت به أضن وأشغف، ولذلك ضرب المثل لكل ما لطف موقعه ببرد الماء على الظمأ ... ألا تراهم قالوا إن خير الكلام ما كان معناه إلى قلبك أسبق من لفظه إلى سمعك، فالجواب إني لم أرد هذا الحد من الفكر والتعب، وإنما أردت القدر الذي يحتاج إليه في نحو قوله:
فإن المسك بعض دم الغزال." (الجرجاني، 1991م)

منهجه في عرض الشواهد وتحليلها:

من مقتضيات منهج الإمام الاستعانة بالشواهد لتوضيح فكرته وتأصيل منهجه، فتنوعت الشواهد بين آيات قرآنية ، وأحاديث نبوية، ونصوص شعرية، ونثرية. ولعل الأمر اللافت للنظر هو قلة الآيات القرآنية التي أوردها في ثنايا كتابه إذ بلغ عددها "تسعا وثلاثين آية من خمس وعشرين سورة " (أبوعلي، 1984م) وهو عدد قليل إذا قسناه بالشواهد الشعرية التي اعتمد عليها. وتفسير ذلك أن الكتاب معقود للنظر في أسرار بلاغة اللسان العربي والشعر أداتهم في التعبير عن معانيهم، كما أن الكتاب ليس المقصود منه بيان وجوه بلاغة القرآن الكريم بل اتخاذ هذه الأساليب وسيلة لبيان أمر المعاني، والحكم على تفاضل الأقوال.

أما تحليله للشواهد فتارة يذكر الشواهد تباعًا دون أن يُعَلق عليها كالشواهد التي ذكرها في عكس التشبيه "كقول ابن المعتز:

والأقحوان كالثنايا الغر قد صقلت انواره بالقطر

وقولهم في تشبيه النرجس بالعيون:

وعيون من نرجس تتراءى كعيون موصولة التسهيد.

وكقول آخر يصف نار السَّذَق:

وما زال يعلو عجاج الدخان إلى أن تلون منه زحل

وكنا نرى الموج من فضّة فذهّبه النور حتى اشتعل

شرارا يحاكي انقضاض النجوم وبرقا كإيماض بيض تُسل. (الجرجاني، 1991م)

وتارة يشير للمقصود بعبارات مقتضبة، وتارة يبسط القول في التحليل ليتذوق القارئ جمال معاني الأبيات كتحليله لأبيات "فلما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالأركان من هو ماسح "فركز على ما تحمله الأبيات من معان شريفة لم يلتفت أحد إليها فالتقط إشارات الألفاظ ودلالة الكلمات فكشف عن معان أخفاها الشاعر بصنعته وراء استعارة أصابت موقعها ونظم أحسن سبكه ورصفه، فرأى ما لم يراه غيره ممن تناولوا الأبيات شرحا وتحليلا فلم يعدوا رأيهم إلى الاشادة بعذوبة ألفاظها ووصفوها بالماء جريانا والهواء لطفا.

المبحث الثالث: القيمة العلمية للكتاب:

يعد كتاب أسرار البلاغة واحدا من أهم كتب البلاغة والنقد التي ساهمت في إرساء قواعده. جمع فيه الجرجاني ما كتبه السابقون في مؤلفاتهم بعد أن استوعب قضاياها وضبط حدودها ورسومها وضمنها مؤلفه "أسرار البلاغة" ودلالة عنوان الكتاب تفيد الاستغراق،

العدد واحد وأربعون
تاريخ الإصدار: 2 – آذار – 2022 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

أي أسرار كل بلاغة وليس بلاغة اللسان العربي فحسب. فالكتاب إذن معقود للنظر في أسرار البلاغات وليس لمناقشة قضية الاعجاز التي ظهرت في عصره .

"وتعد دراسة عبد القاهر الجرجاني للصور البيانية خير ما تركه القدماء من حيث التحديد والتقسيم وإظهار روعتها وقيمتها الفنية وتوليد المعاني الجديدة . وقد أرجع محاسن الكلام إليها ولذلك قدم البحث فيها ليبرهن على فكرته في التصوير..." (مطلوب، 1973م)

ووصلت البلاغة العربية على يده ذروة نضجها واكتمالها، وتكاملت علومها وفنونها، وصحيح أنه لم يفصل بين العلوم الثلاثة على النحو الذي استقرت عليه علوم البلاغة الثلاثة لكنه ساهم في بلورة أهم علمين المعاني والبيان على صورة لم يستطع البلاغيون اللاحقون أن يضيفوا لها شيئا ذا بال بل إنهم لم يستطيعوا أن يحتفظوا للبلاغة بهذا المستوى الذي أوصلنا عبد القاهر إليه، فلم يقيض لبلاغتنا–لسوء الحظ– أن تبقى طويلًا عند هذه الذروة الرفيعة التي بلغتها على يديه، إذ ما لبثت أن انحدرت إلى هوة الجمود والتكلف، وتحولت إلى مجموعة من القواعد الجافة المفتقرة للذوق والخاوية من الروح" (زايد، 2004م)

المبحث الرابع: تقويم الكتاب.

تفرد كتاب أسرار البلاغة بجملة من المميزات منها:

1. عمق البحث ورهافة التحليل ونضج التناول.
2. الدقة في استنباط القواعد والأحكام مستعينا بالعقل والمنطق.
3. اتبع أسلوب الإجمال ثم التفصيل في عرضه للفصول والمباحث ، فالإجمال يعين على الحفظ ، والتفصيل يعين على الفهم، وبذلك يخدم المتلقي من هذين الطريقين.
4. الكتاب ليس في علم البيان بل هو طريق لتأسيس النظر في علم البلاغة.
5. ركز في دراسته للسجع والجناس على الأثر النفسي ودعا إلى استخلاص قيمة معنوية منه .
6. يدعو القارئ في كل موضع للتدبر والتأمل والبحث فيما وراء الألفاظ عن كريم المعاني ، وقد كان كتابه خير تطبيق لهذه الدعوة.
7. استعمل البديع لعلوم البيان وهذا يدل على أنه لم يهتم بتحديد مفهوم ضابط له.
8. يدل أسلوبه وتحليله للشواهد على رهافة حسه الأدبي ، وتمكنه من اللغة ، وقوته في الجدال وليس هذا بمستغرب عليه فهو أحد المتكلمين.
9. جعل من الذوق مقياسا مهما للحكم على النصوص ، فهو حينما يعلق على النصوص أو يحللها يركن إليه في إدراك البلاغة والوقوف على أسرار الجمال ، بل يكرر دائما أن من لا ذوق له لن يدرك تلك الأسرار وذلك الجمال. (مطلوب، 1973م)
10. ترتب الأفكار في ذهنه وتسلسل عباراته فلا يشعر القارئ بتقافز الأفكار، فهو يقودك بروية وتؤدة إلى استنباط ما يريد .

من المآخذ التي أخذت على كتاب أسرار البلاغة نذكرها على سبيل التنبيه لا القدح:

1. لم يقدم لكتابه بل دلف للقول مباشرة في الكلام وبيان قيمته.

2. عدم اهتمامه بالتصنيف والتقسيم الدقيق وهذا أمر غير مقبول فهو يقسم ويصنف إن كان التقسيم ضرورة ملحة ، ويتركه إن انتفت الحاجة إليه حتى لا ينشغل القارئ عن الجوهر.
3. لوحظ عليه عدم إتمامه للقول في بعض المواضع فيخوض في حديث وينتقل لآخر ثم يعود لاستيفاء القول في الموضوع الأول.
4. يدل أسلوب عبد القاهر على ما يعانيه مؤلف عميق الثقافة ، فأسلوبه في الجمل الطويلة المتداخلة يصور مدى الكلفة التي يتجشمها مثقفو تلك العصور ..." (ناصف، 2000م)
5. إلحاحه على مزية المعنى وتبعية اللفظ له فلم يرد الاستحسان للفظ إلا في قوله "وأما رجوع الاستحسان إلى اللفظ من غير شرك من المعنى فيه، وكونه من أسبابه ودواعيه، فلا يكاد يعدو نمطا واحدا، وهو أن تكون اللفظة مما يتعارفه الناس في استعمالهم، ويتداولونه في زمانهم، ولا يكون وحشيا غريبا، أو عاميا سخيفا، سخفه بإزالته عن موضوع اللغة، وإخراجه عما فرضته من الحكم والصفة، كقول العامة أشغلت وانفسد، وإنما شرطت هذا الشرط، فإنه ربما استسخف اللفظ بأمر يرجع إلى المعنى دون مجرد اللفظ" (الجرجاني، 1991م)

- **الخاتمة:**

بناء على ما فصلنا القول فيه حول كتاب أسرار البلاغة يتضح لنا الآتي:

1. أن كتاب أسرار البلاغة من الكتب التي أسست منهج النظر في علوم البيان العربي.
2. إن تأخره الزمني منحه ميزة خاصة ، جعلته يطلع على ما كتبه السابقون يستدرك ما فاتهم ويضبط حدوده ورسومه.
3. حقق الكتاب الغرض الذي ألف من أجله من بيان أمر المعاني واتخذ من فنون البيان وسيلة له.
4. أسلوب هفي كتاب الأسرار أدبي رفيع ولغته راقية ، يظهر فيها أثر كونه من المتكلمين واضحا.
5. اعتماده على الشواهد الشعرية في المقام الأول ثم الشواهد النثرية والآيات القرآنية وذلك؛ لأن الكتاب معقود للنظر في بلاغة اللسان العربي لا الإعجاز القرآني.
6. اهتمامه بأمر المعنى ناشئ من دعوى الاهتمام باللفظ التي ظهرت في عصره.
7. تؤكد طريقة الجرجاني في تحليل الشواهد أن البلاغة فن جمالي.

والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات.

المصادر والمراجع

الجرجاني، ع، 1412هـ – 1991م ، أسرار البلاغة، قرأه وعلّق عليه ، أبو فهر محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، الطبعة الأولى.

القفطي، ع، 1406هـ–1986م ، أنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار الفكر العربي –القاهرة ، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت ، الطبعة الأولى ، مج 2

زايد، ع، 1425هـ– 2004م ، البلاغة العربية ، تاريخها، مصارها ، مناهجها، مكتبة الآداب ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ،

طبانة، ب، 1377هـ ، 1958م ، البيان العربي ، دراسة فنية تاريخية في أصول البلاغة العربية، مطبعة الرسالة، الطبعة الثانية.

مطلوب، أ، 1393هـ– 1973م، عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الأولى

الدمشقي، ت، 1398–1978م ، طبقات الشافعية، اعتنى بتصحيحه وعلق عليه ورتب فهارسه الدكتور الحافظ عبدالعليم خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحديدر أباد الهند ، الطبعة الأولى، ج 1

أبو موسى، م، 1418هـ – 1998م، مدخل إلى كتابي عبد القاهر، مكتبة وهبة ،القاهرة ، الطبعة الأولى

أبو علي، م، 1405هـ ، 1984م ، معالم المنهج البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، عمان الاردن، الطبعة الأولى.

الأنباري، ع، 1405هـ– 1985م ، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق د. ابراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء، الطبعة الثالثة

ناصف، م، 2000م، نظرية المعنى في النقد العربي، دار الأندلس ، بيروت– لبنان

Abstract:

This research aims to introduce the reader to the book of Asrar Al-balaghah, The Mysteries of Eloquence, of Abdalqahir Aljurjani. The book has an important role in establishing the rules of Arabic rhetoric and laying its foundation. The research is structured as follows; the Introduction section gives an overview of Aljurjani's life, his scholarly status, and his works. Section 2 reviews the content of the book, its most prominent chapters, and the reason for writing the book. Section 3 discusses the method of writing the book. In this section, I explain Aljurjani's method of arranging the book's chapters, and his technique for dealing with evidence and how he analyses them. Section 4 is concerned with the book's critique. It presents the most prominent features of the book and discusses the criticisms it received. The research concludes with a conclusion that summaries the most important results.

Keywords: Aljurjani, Asrar Al-balaghah, Investigative method, psychological method